الفصل الرابع (عواقب وخيمة)

وما هي إلا سويعات حتى نشرت شمس الصباح أشعتها في المكان , استيقظ أصدقائه وأيقظوه وجمعوا أغراضهم عم وضعوها بالسيارة و استعدوا للانطلاق , الغريب أنه لم ينطق أحد منهم ببنت شفه , والأغرب أنهم حينما مروا بقبيلة الدراويش لم يجدوا لها أثرا , كأنها لم تكن, اللهم إلا من بعض حطام أخشاب و رماد نار , لم ينم شادي بالرغم من ليلته الطويلة التي لم يتخللها نوم مطلقا , وتعطل تفكيره عن كل شيء تقريبا وكأن عقله يرفض التفكير أو ربما يرفض تذكر أي شيء فلربما بهذه الطريقة تنمحي الليلة الماضية كأنها لم تكن , هكذا يفعل في كل مشاكله يحاول نسيانها متمنيا أن تختفي دون البحث عن حلول , " شادي.....شادي هذا منزلك لقد وصلنا" في البداية لم يسمعه شادي ثم وعندما انتبه لما حوله نظر إليهم وهو تقريبا لا يراهم ترجل من السيارة دون أن ينطق بحرف واحد ولا حتى وداع لأصدقائه وعبر الشارع دون اكتراث للسيارات وعيون أصدقائه معلقه به ولكن لم يبدي أحد تعجبه ولم يحاول أحد تفهم ما به , صعد لمنزله حيث الشعور بالأمان ابتسم ابتسامه خفيفة بعيون حزينة , ألقى السلام على أمه واختيه , ابتسموا جميعا لرؤيته بعد رحلة تخييمه القصيرة وما لبثت أن اختفت تلك الابتسامة عن شفاههم لما رأوه من شحوب علي وجهه وعبوس وتوجه إلي غرفته مباشره دون إجراء أي حوار معهن , تبادلن النظرات بينهن متعجبات يتساءلن عمَّ أصابه , بدَّل ملابسه سريعا وألقاها بعيدا وألقى بنفسه فوق سريره و غط في سبات عميق كأن لم ينم منذ زمن , و فجأة ظهر هذا الكائن من عدم وهو ينظر إليه شذرا دون أن ينطق وعيونه منتفخة وآثار خنجر

شادي لاتزال علي صدره وتسمر شادي لا يدري ماذا يفعل ثم ابتسم الكائن ابتسامة خبيثة ما لبثت أن تحولت رويدا رويدا إلي ضحكات منخفضة ثم عالية ثم.....ثم صرخة مدوية أيقظته من نومه مرتاعا يكاد قلبه يسقط بين أقدامه تلفت حواليه ثم تنفس الصعداء حينما أدرك أنه يحلم أما عن الصرخة فهي حقيقية فقد تكررت ومصدرها قادم من حمام البيت , نفض عنه غطاءه وقام مسرعا ليتبين ما يحدث فوجد أخته شاديه ملقاة علي أرض الحمام وعيونها جاحظة وبعض شعيراتها أبيضت كأنما رأت شبحا ويخرج من فمها ماده بيضاء ولا تنطق , كانت الصرخة الأولي لها و الثانية عليها من والدتها ابنتي هالها منظر ابنتها , وهو أيضا لم يصدق ما يرى ونظر أمامه فوجد في المرآة ذلك الكائن البغيض يبتسم نفس الابتسامة التي رآها في حلمه منذ قليل فسقط أرضا علي قدميه بجوار أخته وأمه تضرب وجهها ورجليها علي الأرض مستغيثة به لنجدة أخته وهو لا يتحرك , حتى جاءت أخته الكبرى نيره وألقت حقيبة يدها وأوراقها أرضا وصرخت وهرعت إلي أختها وهي تنادي شادي الذي أفاق من غيبوبته ونظر إليها ثم حمل أخته بسرعة ونزل الدرج وخرج الجيران ضاربين أخماس بأسداس مشفقين عليهم , وفي أول سيارة أجره ركبها إلى المشفى وهناك وضعت تحت العناية المشددة , ومر اليوم ولم تفق ثم اليوم التالي لم يتحسن حالها , والأطباء يقولون أن السبب صاعق كهربائي , نظرت أمه إليه قائله:" أنا السبب يا ولدي فكبر سني وأمراضي منعوني أن أصدر علي غسل الغسيل فطلبت ذلك من أختك كي تغسل ملابس رحلتك أنا السبب أنا السبب" احتضنها ولدها وسط دموعها المنهمرة وأمسك يدها عن ضرب نفسها وهو يقول بصوت خفيض" لا أحد يعلم من السبب" , وجلس في هذه الليلة في مقصف المشفى لم يذق النوم منذ مرض أخته وهو

يرشف القهوة , غالبه النعاس فأراح رأسه علي الطاولة , فرأى أخته شاديه فأبتسم لكنها دخلت غرفته ونظرت إليه وهو ينام بعمق فدثرته جيدا و ابتسمت له ثم أخذت ملابسه المغطاة بدماء الكائن وأغلقت الباب خلفها علي هوادة مي لا توقظه , ثم توجهت إلى الحمام , أدارت مفتاح تشغيل الغسالة ووضعت بعض الغسيل ثم وصلت لملابسه فوجدت فيها تلك المادة الزرقاء , فلمستها متعجبة ثم شمتها وقالت ربما هو طلاء أزرق , وبمرح وضعت النقطة التي علي إصبعها علي حرف المرآة لتزينها ثم ظهر لها الكائن في أبشع صوره في المرآة فصرخت من شدة رعبها وسقطت أرضا ثم في المشفى يقف هنالك بجوار سريرها يطالب بحياتها وفجأة أصدر الجهاز المراقب لقلبها صوتا يعلن عن توقف قلبها للأبد , قام فزعا من نومه جري إلي غرفة أخته فوجد مسعفين يجرون مثله و لنفس الغرفة وما هي إلا دقائق وأعلنوا وفاتها.....بعد الدفن و الجنازة دخل شادي الحمام أحضر ملابسه التي بها آثار دماء اللعين ثم أشعل فيها النيران وهو يري ضحكات هذا الكائن وسط ألسنة اللهب و دموعه لا تجف عن وجهه , وهو يفكر هل سيتوقف اللعين عند هذا الحد؟ هل انتهى انتقامه عند هذا الحد؟